مدار الوطن
٤٣١

من المعاني العظام لحج البيت الحرام

(التوحيد. التقوى. الوفاء بالعهد. الفهم والتدبر)

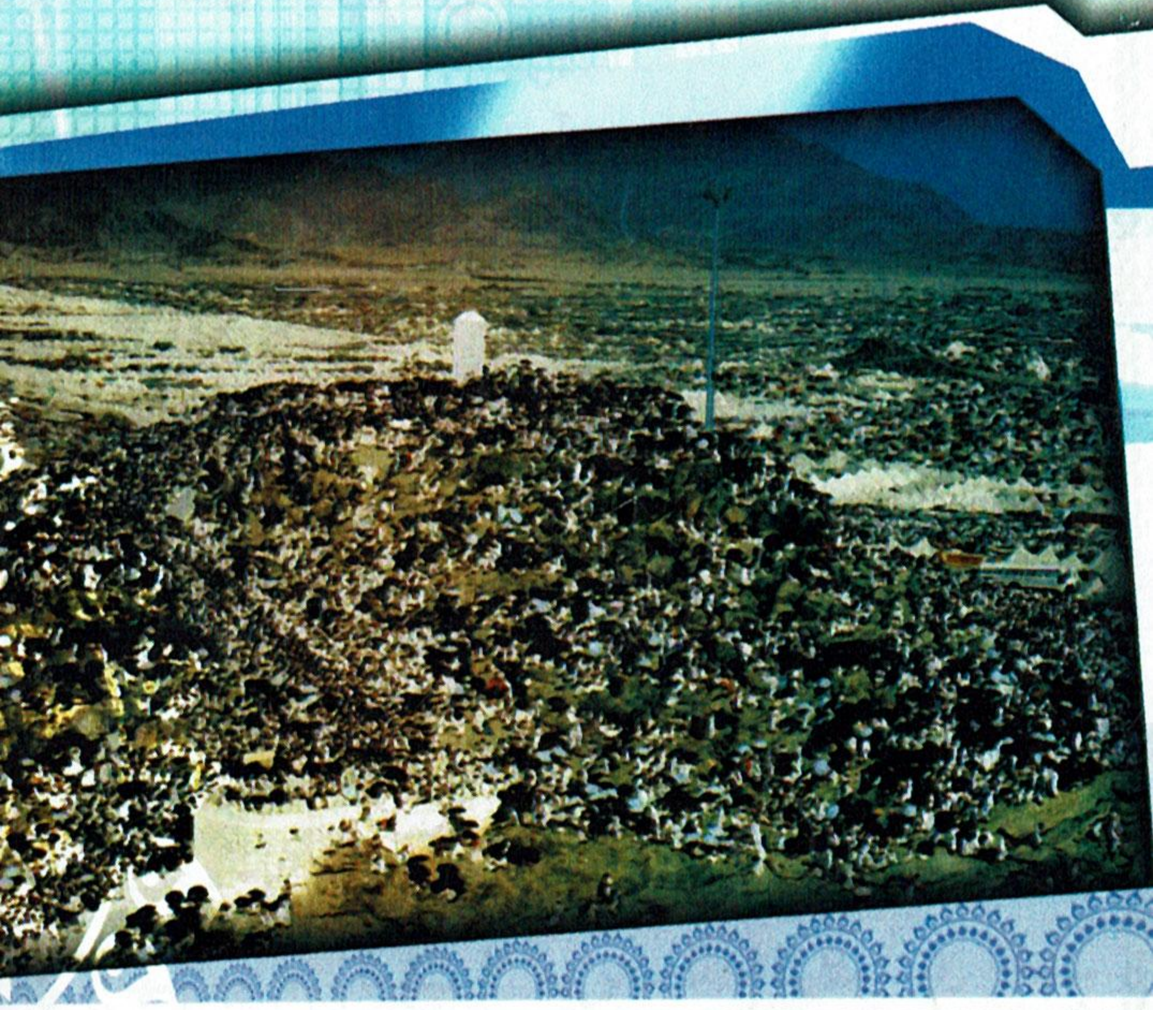

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص. ب ٣٣١٠ - هاتف ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس ٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

إن للحج معاني سامية، ودلالات راقية، وحكمًا بالغة، وعبرًا صادقة، تنير القلوب، وتزكي النفوس، وتشرح الصدور، وتنطلق بالروح نحو آفاق رحبة من الصفاء والنقاء والصدق في محبة الله عزَّ وجلَّ..

فمن معاني الحج:

١- التوحيد الخالص:

فالحج من أوله إلى آخره معلم من معالم توحيد الله عزَّ وجلَّ وإخلاص العبادة له، وتحريم كل صور الشرك وضروبه، وقد أراد النبي ﷺ أن يكون الحج خالصًا لأهل التوحيد، فبعث سنة تسع من الهجرة من ينادي في الحج: **"ألاَّ يطوف بالبيت عريان، وألاَّ يحجّ بعد العام مشرك"** [متفق عليه].

ومن هنا كانت تلبية الحجاج مما يرسخ مبدأ التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى وحده.. **لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك..**

٢- التقوى:

إن أفعال الحج من إحرام وتلبية وطواف وسعي ورمي للجمار وذبح للهدي ووقوف بعرفة ومبيت

بمزدلفة وغير ذلك من أفعال الحج كلها تورث التقوى وتثمر الخشية من الله تعالى، وذلك إذا روعي فيها الإخلاص ومتابعة النبي ﷺ، ولذلك قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وتقوى القلوب: تجعل الحاج في سكينة وطمأنينة وهدوء نفسي لم يعهده من قبل، لأنه في ضيافة الرب تبارك وتعالى، واثق من إكرامه وإحسانه.

وتقوى القلوب: تضفي على النفس حيوية الإيمان، فتزكو بها، وعلى الجوارح روعة التهذيب، فينضبط صاحبها في القول والعمل.

وتقوى القلوب: تجعل من يطوف بالبيت العتيق يشعر أنه لائذ بجنب الله، يرجو رحمته، ويخشى عذابه، ويطلب المغفرة منه[1].

ولابد للمرء أن يستشعر تلك المعاني في كل فعلٍ من أفعال الحج حتى يرجع بأعظم فائدة وهي التقوى قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

* **قال ابن رجب**: فما تزود حاجٌّ ولا غيره أفضل من زاد التقوى، ولا دعي للحاج عند توديعه بأفضل من التقوى. وقد روي أن النبي ﷺ ودّع غلامًا للحج فقال له: "**زودك الله التقوى**".

---

(١) ذكريات عن الحج لمحمد عبد الله الخطيب.

* **قال بعض السلف لمن ودعه:** اتق الله، فمن اتقى الله فلا وحشةَ عليه.

* **وقال آخر لمن ودّعه للحج:** أوصيك بما وصى به النبي ﷺ معاذًا حين ودعه: "**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**" [رواه أحمد والترمذي وحسَّنه الألباني].

وهذه وصية جامعة لخصال البرّ كلها، ولأبي الدرداء رضي الله عنه:

يريد المرء أن يؤتى مناه
ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي
وتقوى الله أفضل ما استفادا[1]

٣- الفهم والتدبر:

الحاج كثير التنقل من مكان إلى مكان، وفي هذا إشارة إلى تقلب الدنيا بأهلها، وأنهم لا يكونون فيها على حالة واحدة من الصحة والأمن والغنى والحياة، وإنما هي دائمة التقلب بين الصحة والمرض والأمن والخوف، والغنى والفقر والحياة والموت.

قال الشيخ جمال الدين القاسمي: وليعتبر في طريقه وسيره بالآيات، وما يرى من الحكمة والقدوة من تصريف الخلق، وما يُحدث الله تبارك وتعالى في كلّ وقت، فيكون له في كلّ شيء عبرة، ومن كلّ شيء

---

(١) لطائف المعارف ص(٣١٨).

موعظة وتبصرة تردّه إلى الله تعالى، وتدلُّ عليه، وتذكره به، فيتفكّر في أمره، ويستدل به على حكمته، ويشهد منه قدرته[1]...

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وقال ابن الجوزي: "وينبغي لمن أراد الحج أن يفهم معنى الحج، فإنه يشار به إلى التجرد لله عزَّ وجلَّ.

وليتذكر بأهوال الطريق: الأهوالَ بعد الموت، وفي القيامة، **وبالإحرام:** الكفَن. **وبالتلبية:** إجابةَ الداعي. وليُحضر قلبه لتعظيم البيت. وليتذكر بالالتجاء إليه: التجاءَ المذنب. **وبالطواف:** الطواف حول دار السيد ليرضى. **وبالسعي بين الصفا والمروة:** التردد إلى فناء الدار. **وبرمي الجمار:** رمي العدو.

حج القلوب

وكما أن للأبدان حجًّا، فللقلوب حج، فإنها تنهض بأقدام العزائم، وتمتطي غواربَ الشوق، وتفارق كلّ محبوب للنفس، وتصابر في الطريق شدةَ الجهد، وترِدُ مناهل الوفاء لا غدرانَ الغدر، فإذا وصلت إلى ميقات الوصل، نزعت مخيط الآمال الدنيوية، واغتسلت من عيْنِ العينِ، ونزلت بعرفات العرفانِ، ولبَّتْ إذ لبَّت من لُباب اللُّبِّ[2]، ثم طافت حول الإجلال، وسعتْ بين صفا الصّفاء ومروة المروءة، فرمت جمار الهوى بأحجار، فوصلت إلى

---

(١) الوعظ المطلوب ص (٢٣٥).

(٢) أي من قلب القلب.

قرب الحبيب[1]". فأين الذين يفهمون هذه المعاني ويستحضرون هذه الدلالات والعِبر؟..

٤- الوفاء بالعهد..

ذكر الإمام ابن رجب رحمه الله أن من معاني استلام الحجر الأسود وأسراره: ألا يعود إلى معصية، فمستلم الحجر يبايع الله على اجتناب معاصيه والقيام بحقوقه: ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: ١٠].

ثم قال رحمه الله: "يا معاهدينا على التوبة! بيننا وبينكم عهود أكيدة:

* **أولها:** يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ قلتم: بلى. والمقصود الأعظم من هذا العهد ألا تعبدوا إلا إياه. وتمام العمل بمقتضاه: أن اتقوا الله حق تقواه.
* **وثانيها:** يوم أرسل إليكم رسوله، وأنزل عليكم في كتابه: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾[البقرة: ٤٠].
* **وثالثها:** لمن حج إذا استلم الحجر، فإنه يجدد البيعة، ويلتزم الوفاء بالعهد المتقدم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[الأحزاب: ٢٣].

فالحرُّ الكريم، لا ينقض العهد القديم.

أحسبتم أن الليالي غُيّرتْ
عَقدَ الهوى لا كان من يتغيَّرُ
يفنى الزمانُ وليس ننسى عهدَكُم
وعلى محبتِكُمْ أموت وأُحْشَر[2]

* * *

(١) التبصرة (٢/ ٢٨١).
(٢) لطائف المعارف ص(٨٩).